بسم الله الرحمن الرحيم
اقـــــرأ
نشرة ثقافية - شهرية
العدد: ٣
التاريخ: جمادى الأولى ١٤٤٧هـ

العلماء ورثة الأنبياء

يُعدّ العلماء الامتداد الحقيقي لخط الأنبياء، فهم الذين يحملون رسالة الهداية بعدهم، ويواصلون مسيرة النور في زمن الظلمات. وقد بيّن سماحة السيد المرجع محمد تقي المدرسي (دام ظله) في حديثٍ له حول مكانة العلماء وأهميتهم وجزائهم في الآخرة عدداً من المحاور التي تبرز عظمة موقعهم ومسؤوليتهم.

المحور الأول: العلماء كالأنبياء

بيّن سماحته أن الله تعالى حمّل العلماء والدعاة مسؤولية عظيمة، وجعل على عواتقهم أمانة الهداية والإصلاح، وهي أمانة ثقيلة، لكنها تقابلها منزلة رفيعة عند الله.

وقد قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): «العلماء ورثة الأنبياء».

وفي الآخرة، يكفي العلماء شرفاً أن يُؤذن لهم بالشفاعة لمن اتبع نهجهم وسار على هدي علمهم.

المحور الثاني: الخشية الحقيقية

استشهد السيد المرجع بقول الله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ».

وبيّن أن خشية العلماء تختلف عن سائر المؤمنين، لأنهم يعرفون آيات الله معرفة عميقة، فيخشونه عن بصيرة.

وضرب مثالاً بالإمام علي (عليه السلام) حين استُخرج السهم من رجله وهو في صلاته، إذ بلغ من خشيته لله وتوجهه الكامل إليه أنه لم يشعر بالألم، لانغماسه في حضرة المعبود.

المحور الثالث: صفات العلماء الحقيقيين

العلماء الذين وصفهم القرآن هم أولئك الذين يجعلون من كتاب الله مصدر علمهم ونور حياتهم، فتخشع قلوبهم وتلين جوارحهم بذكره، كما قال تعالى: «الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانيةً يرجون تجارةً لن تبور».

فالعلماء يجمعون بين العلم والعمل، بين الخشوع والإنفاق في سبيل الله، يجاهدون بالعلن لمواجهة الفساد، ويخلصون في السر طلباً لرضوان الله.

وإن تجارتهم مع الله هي التجارة الرابحة وحدها، إذ تثمر في الآخرة أجراً مضاعفاً ونعمةً لا تزول.

المحور الرابع: جزاؤهم في الآخرة

يشرح سماحته أن العلماء في الدنيا يعيشون الهمّ الدائم، يفكرون في قضايا الناس، ويتحملون المصاعب والمضايقات، لكن الله تعالى يُبدلهم بذلك فرحاً وراحةً أبدية.

فكما قال تعالى: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا».

وفي الآخرة يُبدَّل حزنهم فرحاً، وتعبهم راحة، وخوفهم أمناً وسلاماً.

المحور الخامس: نموذج حيّ للعالم الرباني

وضرب سماحته مثالاً على العلماء العاملين بسيرة المرجع الكبير سيد عبد الأعلى السبزواري (قدس سره)، الذي عاش حياة الزهد والتواضع رغم تصديه للمرجعية، وكان قليل النوم، كثير العبادة، متواضعاً في بيته وشؤونه، ولم ينسَ الفقراء والمحتاجين رغم ما تعرض له من تضييقٍ واضطهادٍ في زمن الطاغية صدام.

فبعث المال إلى فقراء العراق وهو في ضيقٍ شديد، مجسّداً بذلك حقيقة العالم الذي لا تشغله المحن عن خدمة الناس.

الخلاصة

إن العلماء ورثة الأنبياء حقاً، لأنهم يجمعون بين العلم والخشية، بين التضحية والرحمة، بين الفكر والعمل. وهم مصابيح الهداية في زمن الفتن، وبهم يُعرف الطريق إلى الله، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا مات العالم ثُلم في الإسلام ثُلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة».

المسؤولية.. شعور وشعار

على كل فرد أن يتحمّل مسؤوليته تجاه الآخرين من أي مكان كان، وفي أي زمان كان، وإلّا فإن المصيبة ستعمّ الجميع.
إن الثقافة التي تدفع بالإنسان إلى التخلي عن المجتمع وما يجري فيه، وتُعزّز فيه روح اللامسؤولية، ليست من منطق القرآن وأهل البيت عليهم السلام.
ولا تقتصر مسؤوليات الإنسان على ما يرتبط بجانبه الاجتماعي فقط، بل هناك مسؤولية أخرى عليه أن يتحمّلها، مثل مسؤوليته عن الأرض التي يعيش فيها.

رُوي عن النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:
«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته».

فإن المسلمين الذين استوعبوا الحقائق كانت لهم مراتب عالية من التقدّم والتعايش السلمي المتين.
يقول الله تعالى في كتابه الكريم:
﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

فمهما حاول الإنسان أن ينأى بنفسه عن المجتمع ببعض التبريرات، فإن القرآن الكريم يذكّرنا بأن التجمع والاجتماع باقٍ إلى يوم القيامة، فالناس يُحشرون يوم القيامة، وقال تعالى:
﴿كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

ونجد أن الرب تبارك وتعالى في الحديث القدسي يقول:
«لأعذبنّ كل رعيةٍ في الإسلام دانت بولاية كل إمام ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برّةً تقية».

نستلم من الآيات القرآنية المتقدّمة عندك بصائر ودروس في المسؤولية:

البصيرة الأولى:
الثقافة التي تدفع بالإنسان إلى التخلي عن المجتمع وما يجري فيه، وتُعزّز فيه روح اللامسؤولية، ليست منطق القرآن وأهل البيت عليهم السلام، الذين يحثّون الفرد على بناء علاقة مع المجتمع، والنزول إليه، والانفتاح في التعامل مع أفراده في كل ما يجري فيه.

البصيرة الثانية:
كما أن للجسم أعضاء تمارس فيه الإصلاحات كالقلب والرئة، فهما يتعاونان على جلب الهواء النظيف الذي يحتاجه الجسم ويطردان الهواء الملوّث الذي لا يحتاجه، فإن تعطّل أحدهما فمصير الإنسان إلى الموت.
كذلك المجتمع، تُصلح وتدفع عنه الفساد الأجهزة التوعوية والمؤسسات الاجتماعية والسياسية وما أشبه ذلك، التي تُصفّي المجتمع من كل ما يُكدّره وتحفظه من الخراب.

البصيرة الثالثة:
توفير المناخ الملائم حتى يستطيع المجتمع أن يُصلح نفسه بنفسه، فالمجتمع الذي يحكمه الدكتاتور لا يستطيع إصلاح نفسه.
بمعنى آخر، فإن أي مجتمع بحاجة إلى عدّة قنوات إصلاحية: عالم الدين، شيخ العشيرة، رئيس الحزب.
ولا يجوز للدولة من الدول أن تخنق الناس وتمنع الحريات، لأن الحريات تمثل رئة الأمة، وإذا فقدتها أي أمة فإنها تموت.

ولا تقتصر مسؤوليات الإنسان على ما يرتبط بجانبه الاجتماعي فقط، بل هناك مسؤوليات أخرى عديدة عليه أن يتحمّلها، كمسؤوليته عن الأرض التي يعيش فيها في عدّة أمور:

أولاً: المحافظة على الأمن.
قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾.
ثانياً: المحافظة على المناخ الطبيعي.
قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.
ثالثاً: الحفاظ على البيئة، ويكون بالطرق الآتية:
1. منع الإسراف، قال تعالى: ﴿وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.
2. الحفاظ على الغابات والحيوانات التي فيها، لأنها تعمل على التوازن البيئي الذي يرتبط في نهاية المطاف بالإنسان، ويؤكد كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم».
3. الحفاظ على الطعام الزائد وعدم إتلافه، كما تفعل بعض الدول حينما تُتلفه في البحر لكي تحافظ على قيمته السوقية، بينما يموت آلاف البشر جوعًا.

حينما خلق الله عز وجل الخلق، فرض ويعلم أن فيهم ضعفًا، ولذلك فإن الرب الحكيم جعل للمسؤولية حدودًا تتحرك خلالها، وتلك الحدود هي التشريع الإسلامي الذي يتميّز بأنه تشريع واقعي يتناغم مع فطرة الإنسان.
فيا ترى ما هي حدود المسؤولية؟
أولاً: مسؤولية الذات.
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

المسؤولية الثانية: التبليغ.
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فالتدين كما يريده الإسلام، يحمل الإنسان مسؤولية نفسه، والداعي إلى الله ليس مسؤولاً عن إحضار الناس مجبرين على الدين، فمن لم يأتِ يتحمّل مسؤولية ذلك بنفسه، فالداعي إلى الله مسؤول عن التبليغ.
قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

ثالثاً: العدل في القصاص.
ومن محددات المسؤولية أن يكون القصاص بمقدار الجريمة وحدودها، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.
وليس أن يُقتل بشخصٍ واحد عشرة أشخاص كما يحدث في بعض المجتمعات.

ومن أبعاد المسؤولية ألا نظلم أحدًا في أي شيء، حتى بقدر ذرة، وذلك باجتناب المحرمات في الإسلام كالغش، الذي يعتبره البعض شطارة مع أنه تحايل على الآخرين، ومن المحرمات أيضًا الربا، لأنه أكل أموال الناس بغير حق، والسرقة، والاحتكار، والاستثمار غير المشروع، وما أشبه من المحرمات التي يجب الابتعاد عنها.

عن هاشم بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:
«إن العبد ليكون مظلومًا، فما يزال يدعو حتى يكون ظالمًا».

العلم من شروط تحمّل المسؤولية

في التشريع الإسلامي، للعلم بفعل الشيء أهمية بالغة، بخلاف القانون الوضعي، إذ إذا صدر قرار ونُشر في الجريدة الرسمية فقد اكتسب درجة النفاذ حتى لو كان الفاعل غير عالم به.
لكن في الدين الإسلامي، لا بد أن يكون الإنسان عالمًا بما أقدم عليه، وبخلاف ذلك لا يُعاقب، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
«رُفع عن أمتي تسعة أشياء: الخطأ، والنسيان، وما أُكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، والحسد، والطيرة، والوسوسة في الخلوة ما لم ينطقوا بشفة».

مقتبس من كتاب المسؤولية شعور وشعار لسماحة السيد المرجع المدرسي دام ظله

الاعـــــــــلام!!

الإعلام واحد من أكبر الفتن المبتلاة بها البشرية اليوم

لأنه قادر على أن يجعل من العظيم تافهاً ومن التافه عظيماً وأن يجعل الحق باطلاً والباطل حقاً وأن يحول المنكر معروفاً والمعروف منكراً وأن يزرع الشك في قلوب المؤمنين واليقين في قلوب الملحدين.

طريقة القراءة الصحيحة

كم قد رأينا من أناسٍ يكتفون بما قرؤوه في دروس المدارس والجامعات وحتى الحوزات! وما يجهله البعضُ أن هذه الدروس مجرد قواعدَ يُبنى عليها الفكر، وليست دروساً نهائية، كأن يدرس الإنسانُ الصلاةَ وأحكامها وهو لا يُصلي.

كما أن القرآنَ يحثنا على التفكر والتعقل، كقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾. وإن العلماء الذين يتفكرون في خلق الله ويتعقلون، هم المُستَهدَون بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

لذلك، علينا الاستمرار في المطالعة لنواكب العصر، وكذا يجب اختيار الكتاب الجميل المفيد. ونرى عبر الإنترنت أن الناسَ تجذبهم العواطفُ لا الحكمةُ ولا العلم، كما في حالة اختيار الكتاب المناسب. لتقرأ جيداً، عليك أولاً اختيار الكتاب الجيد، وذلك عبر البحث عن الكاتب والكتاب ومستواه العلمي وفائدته. ولتعلم أن أي كتاب تقرؤه لن يبقى في ذاكرتك إلى الأبد، بل بمرور الوقت ستنقص المعلومات في الذاكرة عن ذاك الكتاب، ولا يبقى منه إلا 10% تقريباً.

وتتلخص كيفية القراءة الجيدة في ثلاث نقاط:

1. القراءة الدقيقة.
2. كتابة موجز للكتاب.
3. التعليق على المضمون ومناقشته مع شخص آخر.

ومن أَجود الكتب محتوىً، كتبُ الفكر الرسالي، وفكر الصراع والمواجهة. فمثلاً، في عصر الطاغوت صدام حسين، لم يتوقف الفكرُ الرسالي رغم النظام الوحشي والتهديدات، حيث كانت الكتبُ الرسالية تنتشر بكل الوسائل الممكنة، حتى بالنسخ بخط اليد، ولم يتوقف؛ لأنه مستلهم من القرآن الكريم.

ورُوي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "قَيِّدُوا العِلْمَ"، قيل: وما تقييده؟ قال: "كِتَابَتُهُ". لذا، يجب أن نستوعب المعارفَ وننقلها إلى الناس بأساليبهم ولغتهم، عبر الكتب والأفلام والمسرحيات، كي يفهموها وتترسخ عندهم الأفكارُ، إن شاء الله تعالى.

لقراءة المقالات او متابعتنا على تلكرام: